اسم المصدر: الوطن السعودية

التاريـــخ: 19-05-2009 رقم العـدد: 3154 رقم الصفحة: 22 مسلسـل: 211 رقم القصاصة: 1

الكتاب السعوديون الجدد

الأموال الوطنية التي تملك كبرى بيوتات الإعلام من صحف ومجلات وإذاعات وفضائيات تحتاج إلى وقفة صادقة ومسؤولة لتُعيد لنا بعضاً من هويتنا

فاضل العماني

كاتب سعودي

fadelomani@alwatan.com.sa

"أنتم الكتاب السعوديون تكتبون في كل شيء, رغم أنني لا أجد بينكم من المتخصصين إلا النزر اليسير. نعم هناك عدد كبير جداً من كتاب الرياضة تكاد تمتلئ صفحاتكم الرياضية, بل وقد يتمدد أولئك الكتاب ليجتاحوا باقي الصفحات. لم أعد أستغرب مطلقاً حينما أجد أحد الكتاب السعوديين يتناول موضوعاً في سياسة التعليم في المملكة, ولكنه ـ أي نفس الكاتب ـ لا يجد غضاضة أيضاً في كتابة مقال آخر يرصد فيه الأسباب الحقيقية لانهيار سوق الأسهم السعودية والعالمية, وطبعاً مقاله الثالث سيتطرق إلى أنفلونزا الخنازير ومدى خطورتها على البشرية وطرق الوقاية منها. ما هذه القدرة العجيبة والموهبة الفذة التي يتمتع بها هذا الكاتب الشمولي في عصر التخصص والعلم والمعرفة! أيضاً دُهشت كثيراً حينما التقيت بعض الكتاب السعوديين المشهورين, وجدتهم في مقتبل العمر, بل إن بعضهم لم يصل بعد لنهاية عقده الثالث, وتلك مفارقة مثيرة لم أجد لها مثيلا في دول أخرى, فكتاب المقال والأعمدة عادة ما يكونون من أصحاب الخبرة والنضج والتجربة والممارسة الصحفية الطويلة, وتلك قدرات وطاقات تتطلب في الغالب كتاباً في عمر متقدم نسبياً يُتيح لهم طرح أفكارهم وآرائهم بشيء من الحكمة والعمق والموضوعية والوسطية والوضوح ليجد القارئ ضالته المنشودة في ثنايا تلك المقالات والكتابات التي تعتبر عصارة لفكر أولئك الأساتذة المتمرسين. السعودية بحاجة إلى كتاب يقرؤون أكثر مما يكتبون, لأن القراءة الكثيرة والمتنوعة هي زاد الكاتب الناجح والمؤثر وبدونها سيصبح أشبه بعامل البناء الذي يرص الطوب الوحدة تلو الأخرى, تماماً كما يفعل بعض الكتاب السعوديين فهم أشبه بعمال بناء ولكنهم يرصون الحروف والكلمات بدلاً من الطوب والحجارة, فتبدو الكلمات والجمل براقة وجميلة من أول وهلة, ولكنها في حقيقة الأمر خالية وغير مفيدة".

ما سبق جزء بسيط من حديث طويل لأحد الكتاب العرب الكبار ذكره في أحد الصالونات الأدبية السعودية التي تنتشر على امتداد الوطن من شرقه لغربه ومن شماله لجنوبه.

أنا لست بصدد تقييم تلك الانتقادات اللاذعة لنا نحن معشر الكتاب السعوديين, فقد نال صاحبنا ما نال جراء جرأته وصراحته و"وقاحته" كما وصمه أحد المتداخلين, رغم أن ذلك المسكين ـ أي الكاتب العربي الكبير ـ أشاد كثيراً ببعض النماذج السعودية الرائعة من الكتاب والكاتبات, ولكنه أبدى قلقه من تفشي ظاهرة الكتاب السعوديين الجدد الذين يكتبون أي شيء وفي كل شيء.

تطالعنا الصحف المحلية والمواقع الإلكترونية يومياً بعشرات بل بمئات المقالات والأعمدة والكتابات التي تتناول كل المواضيع الباردة والساخنة, والمطروقة والمسكوت عنها, مستغلة الهامش الواسع والكبير للحرية الذي تتمتع به وسائل الإعلام السعودية بأنواعها المختلفة, خاصة في مثل هذه الفترة الذهبية والتاريخية التي دشن فيها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز برنامجه الإصلاحي الكبير بمجرد توليه الحكم في الأول من أغسطس ٢٠٠٥. لم يعد هناك أي دور ـ تقريباً ـ للرقيب الرسمي الذي يقرأ كل السطور وبين السطور وخلف السطور, لقد تضاءل ـ تقريباً ـ ذلك الدور البغيض الذي سيطر لعقود من الزمن, ليحل محله رقيب آخر أكثر إنسانية وموضوعية وحيادية وشفافية, ولكنه في نفس الوقت أكثر محاسبة ومتابعة ورصداً, إنه الرقيب الذاتي, ذلك الرقيب الذي جعل من الكاتب رقيباً على نفسه, لا ينتظر اللوم والعتب والمحاسبة من أحد, بل هو من يفعل ذلك.

لقد تم كسر معظم تابوهات المحرمات والمحظورات والممنوعات في واقع الإعلام السعودي, وهذا لا يعني طبعاً المساس بثوابتنا الدينية والأخلاقية والاجتماعية. نعم نحن مجتمع محافظ يعتز كثيراً بهويتيه الإسلامية والعربية, ويتمترس خلف خصوصيته ضد أي تغيير قادم من داخل أو خارج الأسوار يسعى للنيل من تلك الثوابت. نعم نحن كذلك, وأكثر من ذلك, ولكن ـ وآه من لكن ـ هناك من يريدنا نحن معشر الكتاب أن نغرد مع السرب دائماً حتى وإن ضل ذلك السرب طريقه, وهناك من يدعونا دائماً لحفلة شواء لا نجد فيها إلا نوعاً واحداً من الطعام, وهناك من يدفعنا وقد يدفع لنا لنغرق معه في نفس التيار, وهناك الكثير ممن يريدنا أن نكون كما يُريد لا أن نكون كما نريد, والفرق بين الحالتين كبير جداً, كبير بحجم الآمال والتطلعات والطموحات والأحلام التي تتكسر كل لحظة

اسم المصدر: الوطن السعودية

التاريـــخ: 19-05-2009 رقم العـدد: 3154 رقم الصفحة: 22 مسلسـل: 211 رقم القصاصة: 2

على تلك العتبات. يبدو أن الكرة الآن في ملعب الكتاب والإعلاميين والأدباء والمثقفين لينتهزوا هذه الفرصة الاستثنائية لبث رسالة التنوير والإصلاح والتغيير التي طالما تشدقوا بها.

الأموال الوطنية التي تملك كبرى بيوتات الإعلام من صحف ومجلات ومواقع إلكترونية وإذاعات وفضائيات واستوديوهات تحتاج إلى وقفة, بل وقفات صادقة ومسؤولة لتُعيد لنا بعضاً من هويتنا وكرامتنا التي هُدرت وتوارت خلف الجدران وخلف الشبابيك كما تقول السيدة فيروز. تلك الماكينة الإعلامية المؤثرة والطاقة الاقتصادية الهائلة تتطلب منا جميعاً سواء كنا كتاباً أو إعلاميين أو فنانين أو فنيين أو تجاراً أن نكون على قدر المسؤولية وندرك جيداً مدى تأثيرهما ـ أي تلك الماكينة وتلك الطاقة ـ الكبير في أجيالنا العربية الواعدة.

نسيت أن قول بأن ذلك الكاتب العربي الكبير همس في أذني وهو يُغادر مسرعاً كمن يهرب من ذلك الصالون الأدبي لغير رجعة "إن كتاب الأعمدة والمقال السعوديين.....". يبدو أنني لا أستطيع تكملة ذلك. ألم أقل إن الرقيب الذاتي أشد قسوة من ذلك الرقيب التقليدي؟